تفسير إبن كثير

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ

هذه مناظرة ذكرها االله تعالى وشبهة تشبثت بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا; فإن االله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه ، وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الإيمان ، أو يحول بيننا وبين الكفر ، فلم يغيره ، فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا ذلك; ولهذا قال : (لو شاء االله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) كما في قوله تعالى : (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم) [الزخرف : 20] ، وكذلك التي في " النحل " مثل هذه سواء ، قال االله تعالى : (كذلك كذب الذين من قبلهم) أي : بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء . وهي حجة داحضة باطلة; لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم االله بأسه ، ودمر عليهم ، وأدال عليهم رسله الكرام ، وأذاق المشركين من أليم الانتقام .(قل هل عندكم من علم) أي : بأن االله تعالى راض

عنكم فيما أنتم فيه (فتخرجوه لنا) أي : فتظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه ، (إن تتبعون إلا الظن) أي : الوهم والخيال . والمراد بالظن هاهنا : الاعتقاد الفاسد . (وإن أنتم إلا تخرصون) أي : تكذبون على االله فيما ادعيتموه .قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس رضي االله عنهما : (لو شاء االله ما أشركنا) وقال (كذلك كذب الذين من قبلهم) ثم قال (ولو شاء االله ما أشركوا) [الأنعام : 107] ، فإنهم قالوا : عبادتنا الآلهة تقربنا إلى االله زلفى فأخبرهم االله أنها لا تقربهم ، وقوله : (ولو شاء االله ما أشركوا) ، يقول تعالى : لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين .